

الإله والدين في فكر هيغل^(*)

د. ممدّ لوغنهانوزن^(*)

ملخص البحث

اعتقد هيغل (١٧٧٠-١٨٣١) بنوعٍ محدّدٍ من عبادة الله فصنّفه أهل الفن ضمن المعتقدين بـ (الكلّ في الإله). ورأى هيغل أنّ بيان الحقيقة يستلزم إتحاد المتضادات، وهو يستعمل كلاً من مصطلحيّ (الوجوب) و(الإمكان). وهذا ما جعل تشخيص مراده فيما إصطلحه مشكلاً جداً، فإختلف المفكّرون في بيان نظريّاته وآرائه.

ويسلّط البحث الضوء على تلك الآراء والنظريّات من خلال الفيلسوف المعاصر (دزموند) الذي ألّف كتاباً بعنوان (إله هيغل، هل هو بديلٌ مزيفٌ؟) على الرغم من تأييد هيغل لموضوع (الخلقة) و(الهبوط) و(المصالحة) التي تمثّل

(*) عنوان هذه المقالة الأصلي هو (was hegel a muslim?) وتعمل هذه المقالة على توجيهه نقدٍ بسيطٍ على أحد كتب (دزموند) الذي يحمل الهوية الآتية:

William Desmond, Hegel's God: A Counterfeit Double? (Aldershot: Ashgate, ٢٠٠٣)

Bibliography, ٢٢٢ pps, index.

(*) باحث في الفكر الإسلامي.

◈ الدكتور محمد لونغنهاوزن

بحوثاً أساسيةً للمسيحية وإن فسّرها حسب نظامه الفلسفي الخاصّ به ممّا دفع
بدموند إلى إتهامه بوضعه بديلاً مزيّفاً مكان الله فهيجل لم يكن مؤمناً بالله
عنده وإن تظاهر بالمسيحية خلافاً لبوربيج الذي دافع عن مسيحية هيجل
مدعياً عدم إمكان بلورة البناء العقلي الذي أراده هيجل من دون الإيمان
المسيحي.

وقد عمل هيجل على تبرئة ساحته من جميع ما نسب إليه من الواحدية أو
الإله في الكلّ حيث اعتبر نفسه من الملتزمين بالمسيحية اللوثرية.

توطئة

يتسم أسلوب الكتابة في فلسفة هيغل بغموض العبارة وتعقيد التراكيب، ولذا كثرت الأحاديث والحكايات حول تفسير آرائه ونظريّاته بين المتخصّصين من أهل الفنّ؛ حيث يرى البعض أنّه يعتقد بـ(الواحدية)، ويرى آخرون إعتقاده بـ(الإله في الكلّ)، وذهب البعض إلى إتهامه بالكفر، بينما مدحه وأثنى عليه مجموعة من قراء كتاباته وآرائه؛ وقد عمل هيغل على تبرئة ساحته من جميع هذه التهم حيث إعتبر نفسه من الملتزمين بالمسيحية اللوثرية.

كتب الفيلسوف المعاصر (دزموند) كتاباً بعنوان: (إله هيغل: هل هو بديلٌ مزيّفٌ؟) وجاء تأليف هذا الكتاب بعد إطلاعِهِ على آراء هيغل طيلة خمسةٍ وعشرين عاماً، متعرّضاً فيه لبيان رؤية هيغل عن الدين وعن الربّ. وسنقوم في هذه الدراسة بإنجاز قراءة نقديةٍ مجملةٍ لهذا الكتاب الذي يعجّ بالمصطلحات الفلسفية المعقّدة الخاصة بهيغل، وكذلك بالكلمات والألفاظ الجديدة الخاصة بدزموند نفسه.

ولابدّ من التأكيد في هذه الدراسة على لزوم إجتنب التسرّع في الحكم على فيلسوفٍ كبيرٍ مثل هيغل، وضرورة الإبتعاد كذلك عن النظرة المحدودة، بل ينبغي الإنفتاح على سائر الآراء التي تفسّر نظريّات هيغل حول الدين.

مصطلحات البحث ومفاهيمه

هيغل، الله، الواحدية، الكل في الإله، الدين.

يُنقل أن الشهيد بهشتي ذهب لزيارة قبر هيغل في برلين الشرقية في الأيام التي قضاها في ألمانيا، حيث استطاع - بعد مدّة من البحث في المقبرة - أن يجد قبر هيغل، وقام أحد مرافقيه بالتعرّض لهيغل بعناوين قبيحة وغير لائقة، عندها غضب الشهيد بهشتي من هذا التصرف، وبين له بأن الأثر الذي تركه هيغل في زمانه ومحيطه يمكن تشبيهه بما فعله الملا صدرا في العصر الصفوي^(١).

فما الذي كان قد رآه الشهيد بهشتي في آثار هيغل حتّى يصفه بهذا الوصف ويثني عليه بهذا الثناء؟

أكان من الممكن أن يعتقد أن هيغل كان مسلماً؟

حتماً الجواب هو النفي. فعلى الأقلّ لم يكن هيغل قد أسلم بمعنى أنّه قام بتغيير مذهبه أو دينه الرسميّ أو نطق بالشهادتين. أمّا المكان الوحيد الذي تعرّض فيه هيغل للإسلام فكان بشكلٍ عرضيٍّ في كتابه (فلسفة التاريخ)^(٢)، وهناك عبّر عن الإسلام بتعبيرٍ غير مناسبٍ: (Mahometanism)، وهذا التعبير كان رائجاً في زمانه، حيث أشار هناك إلى أن الإسلام لم يكن له أيّ ظهورٍ على رقعة التاريخ مدّةً مديدةً، وفي كتابه (محاضرات في باب فلسفة الدين) يتجاهل الإسلام تجاهلاً تاماً تقريباً، فلم يذكره إلاّ بهذه العبارة: لما كان

الإله والدين في فكر هيغل

الإسلام لا يقبل بفكرة التجسّم، إذن فهو يمثّل مذهب الربوبية (deism)^(٣). إذا أردنا أن نأخذ هذا الموضوع بجدية، ونعرف الأمر الذي وجدته فيلسوف كبيرٌ ومسلمٌ هو آية الله بهشتي في آثار هيغل فبإمكاننا أن نتعرّف على رأي هيغل في (الله)، وهذا من المواضيع التي تعرّض لها دزموند في كتابه... يصف دزموند كتابه بأنّه بمنزلة الوداع لهيغل، والسبب الرئيس لتوديع دزموند لهيغل هو عدم رضاه عن نظرية هيغل عن الله، علماً أنه ليس الفيلسوف الأوّل الذي يُبدي عدم رضاه عن بحوث هيغل في الإلهيات؛ فحتّى (شيلنغ) صار ملزماً بعد أن جلس مكان هيغل أن (يدوس على جميع بيوض تنين الواحدية التي فرّخها هيغل في برلين)^(٤). وبهذا المنوال دقّ دزموند ناقوس الخطر معلناً بأننا إذا اعتبرنا الله كما اعتبره هيغل "كلاً واحداً" - وليس شيئاً أبعد من أيّ كلّ - فإننا (سنصبح في النهايةً وثنيين "واحديين"^(٥))، أو حتّى من القائلين بـ "الكّل في الإله"^(٦).

ويرى دزموند أنّه بسبب إنكار هيغل لكون الله جوهرًا، جعل نظريته مختلفةً عن الواحدية المبنية على نظرية (سبينوزا)^(٧)، لكنّه مع ذلك يعتقد بأنّه: سواءً اعتبرنا الله جوهرًا لكونه غايةً قريبةً من الإنسان مثلما كانت عقيدة سبينوزا، أم اعتبرناه روحاً كما هي عقيدة هيغل، ففي كلّ الأحوال سوف نجد أنّ نفس الإشكالات التي طرحت للردّ على المذهب السبينوزي في النزاع الدائر على مذهب الواحدية، هي بعينها ترد على هيغل أيضاً، لأنّ الفرق الوحيد بين هيغل وسبينوزا هو أنّ هيغل إستبدل في نظريته الجوهر بالروح. وأوّل من أشكل على المذهب السبينوزي هو (ياكوبي)^(٨) الذي قال سنة ١٧٨٥م: إنّ الإيمان بالإله الشخصي وبحريّة الإنسان واختياره، باتت كلّها

مهذبةً بالإلهيات الفلسفية الموجودة (إشارة إلى نظرية سبينوزا)^(٩).
كما يرى تشارلز هارتسهورن أن هيغل متهمٌ بالقول بـ (الواحدية) أو
بعبارة أدقّ بالقول بـ (الكلّ في الإله) (على الرغم من اعترافه بوجود نوعٍ من
الإلتباس والحيرة بهذا الصدد)، وعلى الرغم من إنكار شلينغ هذا المبدأ، فقد
إعتبره هارتسهورن ممن يؤمنون بفكرة (الكلّ في الإله) تلك الفكرة التي يقول
بها هيغل.

وإذا إعتقد هيغل (١٧٧٠-١٨٣١) بنوعٍ محدّدٍ من عبادة الله، فينبغي أن
نصنّفه ضمن المعتقدين بـ (الكلّ في الإله)، حيث يرى أن بيان الحقيقة يستلزم
اتّحاد المتضادات، وهو يستخدم كلاً من مصطلحي (الوجوب) و (الإمكان).
وبهذه الحالة يصبح التشخيص الدقيق لمراده من هذه المصطلحات مشكلاً.
ولا شكّ أنّه يعتقد أن اتّحاد الواجب مع الممكن، وغير المتناهي مع المتناهي،
والعامّ مع الخاصّ وهو ما يشكّل حقيقةً كلّ منهما وذاتها. لكنّ المعضلة - فيما
تقدّم - تكمن في كيفية توصيف هذا الإتحاد.

ويبدو لنا أن هيغل لم يتحدّث بوضوحٍ عن هذه المسألة، لكنّ زميله في
الدراسة وصديقه في (توبنغن) / فريدريش شيلنغ (١٧٧٥-١٨٥٤)، بيّن في
كتاباته الأخيرة بنحوٍ أوضح وأكثر تحديداً أنّه يعتقد بـ (الكلّ في الإله)، وعلى
الرغم من طرح كثير من الأفكار لكنّه لم يكن واضحاً في الإفصاح عن الحدّ
المطلوب عن مراده. ويصرّح بتغيير كلّ من الخالق والمخلوقات وحرّيته،
ويرى - قطعاً - لا يمكن إعتبار أيّ من الخالق أو الوجود النوعي لمنظومة
المخلوق ممكناً صرفاً^(١٠).

لقد استخدم (كراوس) وهو أحد تلامذة هيغل (K.C.F. Krause;)

الإله والدين في فكر هيغل

١٨٣٢-١٧٨١) مصطلح (الكل في الإله) للمرة الأولى، حيث وضعه ليشير به إلى النظرية القائلة: إن الكون ذو روح ألوهية، حيث يضم الإله، وفي الوقت نفسه يضم ما فوق الطبيعة، وكذلك الإنسانية (الناس).

ويميز هارتسهورن بين (الواحدية) و (الكل في الإله) بناءً على مسألة الحتمية (الجبر)^(١١). فهو يدعي بأن (الواحدية الكلاسيكية) التي يراها الرواقيون وسينوزا تمثل منحى الجبر، بينما (الكل في الإله) ليست كذلك.

ولا نتعجب إن لم يُشر ديموند إلى هارتسهورن، لكن الوقوف على هذا الأمر سيوضح الأمور بشكل كبير، حيث أشار ميل ديموند إلى إيراد النقودات التي أوردها في النقض على هيغل بالنسبة لأفراد آخرين كشيونغ وموريس مندلسون أيضاً ممن تعرّضوا لبحث (الكل في الإله)^(١٢).

وثمة تشابه بين نظرتي ديموند وياكوبي في الدفاع عن الإله الشخصي، في قبال جعل الهويات الفلسفية^(١٣). وعند معاينة هذا التشابه يصبح الأمرُ باعثاً عن اليأس الكبير والتأسف الشديد من أن ديموند لم يُشر إلى ياكوبي وإلى نظريته في هذا المجال. وفي الواقع، لم يبذل ديموند أيّ جهدٍ في وضع نقوداته على نظرية هيغل في الإلهيات بين النقودات الكثيرة الأخرى المشابهة. وليس مرادٍ هو التلويح بأن نقودات ديموند مكرّرة، بل أردت التنبيه فقط إلى أن أيّ حكمٍ يتعلّق بالتميز التي يتمييز به نقده، ينبغي أن نصدره بعد المقارنة بين النقاط التي طرحها والنقاط والنقودات السابقة التي طرحها العديد من الأفراد الذين يرون أن نظريات هيغل غير مقبولة دينياً، وفي هذا الصدد نجد أن ديموند لم يساعدنا في تتبعها أبداً.

وإن كتاب ديموند كتابٌ جليلٌ أكثر من كونه كتاباً مساعداً في فهم نظرية

هيغل، فهذا الكتاب يمثل وثيقة الاعتراف العقائدية الشخصية لدموند؛ فبعد أن وقف ديموند على باب هيغل فطالع ودرس، وحقق مدة خمس وعشرين عاماً، تخلص من برائن شره وعمد إلى بحثه الخاص في الإلهيات، وهو يذكر في هذا البحث أدلته في الرد على هيغل، وكذلك أطراف الخيوط التي يمكن التكهن بها في هذه المسألة. أمّا الأفراد الذين قرأوا سائر آثار ديموند الأخرى، ووجدوها مثيرة للإعجاب، وأرادوا أن يسلكوا في متاهاته الإستدلالية، فأنا أوصيهم بقراءة كتابه هذا كي يتبصروا أكثر لهذه النقطة وهي: كيف يمكن لمفكر كاثوليكي قضى من عمره مدة مديدة في مطالعة آثار هيغل، وبعد الأخذ بعين الاعتبار جميع جوانب تلك الآثار وأبعادها بالإحتياط والدقة، يُصدر حكماً إجرائياً مبنياً على أن فهم هيغل لله وثني.

لا يتناسب هذا الكتاب مع مستوى طلاب الجامعات؛ فهو مضغوط ومكتظ بالإصطلاحات الفنية، ولا شك أن دراسة نظرية هيغل تدعونا إلى الإستفادة من بعض هذه الإصطلاحات، لكن ديموند طرح عدداً لا بأس به من المصطلحات الجديدة الخاصة به؛ ومن هنا صار الكتاب شديد الإغلاق في الفهم بنحو لا يوصف. وإذا ما رغب أحد الأفراد أن يفهم نظريات هيغل في الإلهيات، وأحب أن يستعين على كيفية البحث في هذه النظريات بالشراح والعلماء الآخرين، فيمكن أن ندله على عدد كبير من الأبحاث الأخرى التي ينبغي لطالب الجامعة أن يطالعها أولاً قبل مطالعة كتاب ديموند، ومن هذه الكتب ومراجع المطالعة:

١. (فهم هيغل في باب الإلهيات)^(١٤)، لمؤلفه العالم اليسوعي^(١٥) (كونتين

لاور) (Quentin Lauer) ويتصف هذا الكتاب بالمتعة وتوضيح الأمور حقاً،

الإله والدين في فكر هيغل

وبيّن (لاور) فيه كيفية تعامل هيغل مع الأفراد الذين إتهموه بالواحدية أيام حياته.

٢. (مقدّمة لفلسفة الدين عند هيغل)^(١٦) لمؤلفه (ريموند ويليامسون) حيث أورد في هذا الكتاب إشكال (الواحدية) المتكرّر والمشهور مع جميع أجوبة هيغل على هذا النوع من التهم مع مصادرها الكاملة.

٣. (هيغل في المنطق والدين)^(١٧)، لمؤلفه بوربيج، حيث كانت مسألة مسيحية هيغل هي المحور الأساسي في الفصل الأخير من هذا الكتاب، وينصح بوربيج بدراسة المسيحية المقصودة عند هيغل والبحث فيها عبر دراسة كلّ واحدة من هذه العناصر بعد أن يعطي نموذجاً لهذا التأكيد الذي يؤكّد عليه هيغل من أنّ الدين يشتمل على ثلاثة أمور هي المشاعر، والمناسك، والعقائد:-

أولاً: المشاعر

حينما ينظر هيغل إلى عنصر (المشاعر)، يدرس الحركة من الإحساس بمشاعر الإبتئاس^(١٨) - وحتى المليئة بالشقاء- (التي تنشأ من الاعتقاد المسيحي بأنّ الربّ قد مات على الصليب) نحو (اليقين الشخصي الصافي)^(١٩)، فيؤكّد على أنّ هذا النوع من الحركة من الليل المظلم^(٢٠) للنفس نحو الحياة الكونية) وهو من المواضيع التي لا نصادفها في المسيحية الرائجة، بينما نجد الإشارة إليها وبنحو متكرّر في التصوّف المسيحي. ويصل بوربيج إلى هذه النتيجة بعد أن تمّ بحثه حول عنصر (المشاعر).

ومضمون هذه النتيجة أنّ هيغل يمتلك إحساسات ومشاعر دينية مسانخة لمشاعر وإحساسات أعظم المتصوّفة من المسيحيين.

ثانياً: المناسك

يستدلُّ بوربيج على أنّ ذلك النوع من العمل الذي يراه هيغل موصلاً إلى ما يسمّيه (الروح الجميلة)^(٢١) هو عبارةٌ عن الصدى العميق لإعترافات شهادات الكنيسة اللوثرية؛ حيث يعتقد هيغل بضرورة التعبد مع إنتحاء العزلة، وفي الحالة نفسها التي ينتحي فيها العزلة ينبغي أن تبدّل إلى عبادة مجتمع.

ثالثاً: العقائد

وهي أكثر الأقسام إثارةً للجدل في تقييم مسيحية هيغل؛ ففضلاً عن تأييده المواضيع الأساسية للمسيحية أي: (الخلقة)، (الهبوط)، و (المصالحة)، نراه يفسّر هذه العقائد بنحوٍ جديدٍ عبر النظام الفلسفي الخاصّ به. وهذا الأمر هو الذي دفع بدزموند لينسب إليه هذه التهمة؛ حيث وضع مكان الله بديلاً مزيفاً، أمّا بوربيج فيدافع عن مسيحية هيغل؛ لأنّه من دون الإيمان المسيحي ليس هناك دليلٌ يدعو للإعتقاد بإحراز وبلورة البناء العقلي الذي يريده هيغل.

يُصدر بوربيج حكمه بناءً لما عرضه من خلاصةٍ للعناصر الثلاثة: المشاعر، المناسك، العقائد، فيقول: (بناءً على هذا، يمكن لنا أن نستنتج بأنّ هيغل كان مسيحياً)^(٢٢) ويتحفّظ عن القول: إنّ (هيغل هذه الأيام) مسيحيٌّ أيضاً؛ لأنّه كان حسّاساً للتغيير والتحوّل، وقد تغيّرت الوقائع الدينية في العالم المعاصر، فلو كان هيغل يعيش في هذه الأيام فمن الممكن وبسبب رؤيته لهذه التغييرات أن يتوانى عن قبوله وتأييده السابق الذي اعتبر فيه المسيحية ديناً كاملاً.



الإله والدين في فكر هيغل

والنقطة الجديرة بالذكر بالنسبة للمسلمين هي أن بوربيج يشير إلى تسامح الإيرانيين وإستقبالهم لأعدائهم السابقين من العراقيين، ويطرحه بعنوانه نموذجاً لما كان يبحث عنه هيغل في (الروح الجميلة) التي ترتبى وتتكامل بواسطة الدين.

وينبغي القول مرّة أخرى: إنّ هذه الحركة ليست حركةً مبنيةً على المسيحية التي صارت إمّا حكماً خالياً من التسامح كما هو الحال في إيرلندا، وإمّا تسامحاً من دون حكمٍ كما هو الحال في حركة التقريب بين المذاهب المسيحية الموجودة.

إنّ الإسلام هو الذي يتحرّك نحو (الروح الجميلة) وليست المسيحية^(٢٣). ورغم ذلك لم يقل بوربيج: إنّ هيغل لو عاش مدّة أطول لتبنى الإسلام، بل طرح فكرة أقلّ حديّةً بديلةً عن تلك، تلك الفكرة التي تقول: من المحتمل أن يكون رأيه الذي يتّخذه في باب الدين أقلّ ضيقاً ممّا كان عليه. وقد أشار كذلك إلى التحوّلات التي جرت في كلّ من اليهوديّة، والطاويّة، والهندوسيّة، والبوذية؛ تلك التحوّلات التي قد يؤيّد بها هيغل لو كان على قيد الحياة. أمّا دزموند فهو يرى أنّ من حماقة أن نحول هيغل إلى فردٍ تعدديّ دينيٍّ حداثويّ.

ولذا يرى بوربيج أنّ هيغل لو كان حيّاً لقبل بالتعددية الدينيّة، وهو بذلك يعارض رأي دزموند بنحو تامّ. وحينها يُشكك دزموند بإيمان هيغل بالله، ويسرد الأدلّة على أنّ هيغل إنّها يتظاهر بالمسيحية ليس إلّا، نجد أنّ بوربيج يعتقد أنّ هيغل فردٌ مسيحيّ، وبالتحديد هو مسيحيّ لوثرانيّ، ويعتقد بوجود الله أيضاً، ويحتمل لو كان على قيد الحياة لكان من الممكن أن يقبل

بالإسلام والطاوية.

إذن، نحن امام رأيين مختلفين أحدهما: رأي بوربيج وهو رأي متساهل في كل هذه الأمور مع هيغل، وثانيهما: رأي دزموند وهو رأي متشدّد معه جدّاً، بل أنكر حتى إيمانه بالله.

وعلى الرغم من ذلك فعلينا أن نطالع آراء دزموند ونستفيد منها، حتى نتمكن من التعرّف على آراء هيغل ونظريّاته لا من أجل التحقيق فيها، بل لكي نستطيع الوصول إلى فهم أعمق لتلك الأمور الموجودة في نظريّات هيغل التي أزّقت أذهان بعض المفسّرين المسيحيين.

ويتكوّن كتاب دزموند من توطئة ومقدمة وثمانية فصول وقائمة بالمراجع وفهرس، ونقد دزموند في هذا الكتاب مبنيّ على كفيّة فهم هيغل في باب الإلهيّة هو: أنّ الإله الذي يتصوّره هيغل، ليس ذلك الإله الشخصي الكلاسيكي؛ لأنّه ليس (متغيّراً ومتعالياً) بالمقدار الكافي. وسنعمد إلى تقييم هذا الكتاب بدلاً من تلخيص كلّ فصلٍ من فصوله معتمدين الأبعاد الثلاثة للدين التي إستخدمها بوربيج في إستدلّاله الأخير الذي أورده لإثبات أنّ هيغل كان مسيحياً. وهذه الأبعاد عبارة عن: المشاعر، والمناسك، والعقائد.

المحور الأوّل: المشاعر

يتمحور بحث بوربيج المتعلّق بعنصر (المشاعر) حول (الشعور بالإبتئاس) الذي يقارنه بـ (الليل المظلم) لروح العارف المسيحي. أمّا دزموند فيخالفه حيث يقول: إنّ الشعور بالإبتئاس ناشئ من (ديالكتيكيّة الأرباب والعبيد)، وهذه العلاقة بين الأرباب والعبيد ليست متماثلةً، فهي العلاقة التي يعود فيها العبد بعد ترقيّه ليصل إلى مقام الأرباب ومنزلتهم، لكنّه يصبح

الإله والدين في فكر هيغل

غريباً عن نفسه خلال قيامه بذلك ، وتحصل هذه الغربة عن النفس خلال سعيه للترقي، حيث تؤدي إلى (الشعور بالإبتئاس). ولا ينسى ديموند أن يذكر أحد تعاريف هيغل للدين: رقي الذات^(٢٤)، أي: هو الإنسانية في الوصول إلى مقام الأمر الألوهي. ثم وخلاصة ذلك أن عاقبة الدين هي (الغربة عن النفس والشعور بالإبتئاس)، أما سبيل الخلاص الذي يطرحه هيغل بالنسبة لهذه المشكلة، المستقى من المسيحية على الخصوص، فهو: أن الغربة عن النفس عبارة عن نصرٍ لا من جهة الأمر المحدود، بل من جانب الأمر الألوهي الذي يفقد إطلاقه ولا نهائيته في (التجسد)^(٢٥).

ويعتبر ديموند أن فهم هيغل لهذا الموضوع المسيحي يسجل له حق الابتكار، كما يراه دليلاً على أن (هذه البنية هي البنية الفكرية لهيغل بنحو مطلق) وهو يمثل مصداقاً لمنطقه، ذلك المنطق الذي بناءً عليه (يتجاوز المفهوم عن العمومية اللا متعينة، ويظهر نفسه مع التفصيل، ويمنح لنفسه التحقق لكي يمنح التعيين لنفسه في إطار فردٍ وهو الذي يمثل مصداقاً عاماً عينياً)^(٢٦).

وقد يؤدي هذا النوع من المزج بين العديد من المواضيع المهمة والمعقدة في المنطق، والفلسفة، والدين، إلى علاقاتٍ مميزة، قد تحول الموضوع إلى موضوعٍ آخر معقدٍ بسبب تغيراتٍ رئيسية فيه، كما يؤدي إلى الضياع بالقوة، وبيّن ديموند هذه النقطة عبر منظومة كانت الإصطلاحية، إذ يقول: (إنما يظهر الوجود في الواقع والأمر نفسه^(٢٧) من خلال المظاهر^(٢٨)، ومن هنا فلا وجود في الواقع والأمر نفسه لشيء وراء المظاهر...).

وبعبارة أخرى: إن قرب^(٢٩) الله وملازمته لنا هو نفس إظهاره لذاته المتعالية؛ ولذا يرى هيغل عند تحوّلِهِ إلى كينونةٍ أمرٍ متعالٍ ومنحه التعيين لنفسه،

لن يكون هناك وجودٌ للأمر المتعالى الذي يقابل القرب والملازمة^(٣٠)، ويرى دزموند أن هيجل لم يفهم المواضيع الدينىة؛ لأنه يعتبر سبيل الخلاص من مشكلة الشعور بالإبتئاس حيث يكمن في التغلب على الثنائىة بين الإنسان والله، وهذا كفرٌ وتجديفٌ، فبناءً للتفسير المسيحى العقائدى الصحيح للتجسد، حيث يمكن أن يتجسدَ اللهُ في الإنسان، ورغم ذلك لا يتنازل أبداً عن غيريَّته الذاتىة، ولا عن تعاليه، أو عدم تناهيه.

ويرى دزموند أن من نتائج إنحراف هيجل أن يصبح القيام بما ينبغي من الحمد، والشكر، والعبادة التى تليق بالله عزّ وجلّ، أمّا الذى يغيرنا في الأساس فهو أمرٌ غيرٌ ممكن؛ إذ ليس من الممكن أن نحصل في أنفسنا ذلك النوع من الإحساس المناسب والملائم الذى يلزم من العبادة الحقيقىة تجاه الإلهيَّة الصرفة، (وأعتقد أن هيجل لا يمتلك الشعور والإحساس بالأمر الألهي بعنوانه موجوداً حياً، ويحتمل إمتلاكه إحساساً بالعلاقة المتبادلة من الإرتباط بين طرفين فقط)^(٣١).

وعلى الرغم من وجود تشابهاتٍ ظاهريَّة بين مشاعر العرفاء والمشاعر التى عرضها هيجل، لكنّ دزموند أجاب عن هذه الحقيقة بأنّ (شعور الإبتئاس) الذى يقصده هيجل لا يمثّل بديلاً مناسباً لمفهوم (الليل المظلم) عند العرفاء؛ والنتيجة لا تحقّق تناسباً بين ما عرضه هيجل من مشاعرٍ والتدين المسيحى.

المحور الثانى: المناسك

إعتبر بوربيج أن رأي هيجل عن (المناسك) يستبطن في الواقع شهادة الكنيسة اللوثرىة، أمّا دزموند فإنه يعتقد أن (الغفران)^(٣٢) و (المصالحة) اللتين طرحتا في فلسفة هيجل ليستا إلاً بديلاً مزيّفاً للغفران والمصالحة التى يقصدها

الإله والدين في فكر هيغل

الدين المسيحي؛ لأنّ (واحدية)^(٣٣) هيغل تُنكر الغيرية التي تتلازم مع المفاهيم العقائدية المسيحية. وفي المحصلة: بناءً على تفسير دزموند لنظرية هيغل فلا فرق بين الإنسان والله، وهكذا يصبح معنى الغفران المقصود في وثيقة الإعراف اللوثرية هو أن يغفر الله لنفسه. أو بتعبير أدق: أن يغفر الإنسان لنفسه؛ لأنّ الإتحاد بين الأمر الألوهي مع الإنسان بالتفسير الهيجلي، ليس بنحو يتبدّل فيه الأمر الألوهي إلى إنسانٍ في قالب المسيح، بل المسيح عبارة عن مجلي لألوهية الإنسان. ويعتقد دزموند أنّ هيغل سعى لتجنّب تناقضات مذهب الواحدية من خلال تأكيده على الإختلاف والتمايز بين المراحل المختلفة؛ وهو بذلك لا يريد أن يسمح لهيغل بالعبور من هذا الإشكال بسهولة، فيؤكّد على أنّ تقييم هيغل والحكم عليه ينطلق من موضع (الواحدية) الغائية التي يصبح الإنسان والإله فيها واحداً. وإذا ما ظهر لنا أنّ دزموند قد جانب الإنصاف هنا، فينبغي أن يُقال: إنّ هذا النوع من عدم الإنصاف ليس بالجديد أبداً لمن إطلع على إستدلالات بعض الظاهريين من المسلمين في ردّ عقيدة (وحدة الوجود) الباطنية^(٣٤).

أمّا بالنسبة للبعد المناسكي للدين في أفكار هيغل فقد نقل دزموند بيان هيغل لهذا الأمر في موضعين^(٣٥)، فهو يقول:

إنّ الأمر منعكسٌ في المناسك، فقد يقعُ الله في جانب، وأنا أقع في جانبٍ آخر، أمّا المائزُ الفاصل^(٣٦) فهو: أن أحوي الله في باطني أنا، وأن أحصل العلمَ بنفسي في باطن الله، وأحصل العلمَ بالله في باطني. وتنطوي المناسك على منح هذه اللذة المطلقة المتعالية لأنفسنا. ويوجدُ إحساسٌ وشعورٌ في باطن هذه اللذة؛ وبفعل شخصيتي الخاصة والباطنية وما أقدمه من دور، في إطلاعان:

أحدهما: الإطلاع على نفسي بعنوانها حيث أكون الفردُ الذي يشملُ الإلهَ والمشمولُ بالإلهِ.

وثانيهما: الإطلاع على نفسي في باطن الحقيقة (ولا حقيقة لي إلا في الله وحسب)، أي: إن ذاتي متّصلةٌ مع نفسي بعنوانها الذات التي في الله^(٣٧).

رغم أن ديموند يرى في هذا البيان العديد من الإشكالات، لكنّه - حسب رأينا- يوضّح فهماً للمناسك الدينيّة ينسجم للوهلة الأولى مع المنهج العرفانيّ أكثر من الشهادات اللوثرية. فقد كان هيغل مطّلعاً على آراء العرفاء الألمان: (إكهارت) (١٣٢٧-١٢٦٠ ; Eckhart) و (بومه) (-١٦٢٤ ; Bohme) (١٥٧٥)، كما كان مطّلعاً على آراء الأفلاطونيين الجدد من قبيل: (بروكلوس) (٤٨٥-٤٤١ ; Proclus). وكان يؤيد العديد من بيانات العرفاء، ويعتبر (لوثر) - من خلال تأكيده على أن الله يتجلّى بحقيقته في قلب المؤمن - من منفتح بصيرةً تفتح أبوابَ الفهم لسُنّة العرفاء^(٣٨).

ولا يرى هيغل أن معرفة الألوهية (الله) مختصّة بالعارف المنعزل وحده، بل يرى أن هذه المعرفة تتحوّل إلى هدفٍ يسعى خلفه المجتمع الديني من خلال عملية التسامح المستمرة. حيث يقول:

إنّ دوام حياة المجتمع عبارة عن: صيرورة هذا المجتمع المستمرة والأبدية المبنية على الحقيقة والواقعية التالية؛ وهي: أن الروح ثمرةٌ لعملية لا نهائية من السعي إلى إدراك الذات^(٣٩)، وأنها تنشر ذاتها على التلاؤات المحدودة لنور الشعور الفردي، وعند ذلك تعمد إلى تجميع ذاتها مرّةً أخرى للخروج من هذه المحدودية؛ ولما كانت هذه الروح محدودة الشعور، كانت عملية الإدراك تنبع من ذات الروح؛ وبذلك ظهر هذا النوع من الإدراك

الذاتي الإلهي^(٤٠).

يعاين هيغل هذه المسألة متابعاً الأمر المهم الذي أدّى إلى حصول (عيد الخمسين)^(٤١) في أبرشية^(٤٢) الحواريين. وعلى الرغم من الإشكالات التي يريد دزمووند أن يتعرّض لها عند تعرّضه للتفسير الفلسفي لإلهيات هيغل من أجل إدانتها، فإنّه لا يمكن لأحد إنكار الدور الرئيس الذي تؤدّيه المناسك الدينية في نظرة هيغل نحو الدين، فهو مبنيٌّ بشكلٍ كاملٍ على المسيحية بغض النظر عن مدى صحّته من الناحية العقائدية المسيحية.

المحور الثالث: العقائد

أمّا ما يخصّ جانب العقائد فنجد أنّ (كونتين لاور) يعرض تصويراً نظريّة هيغل أكثر تعاطفاً بنحوٍ كبيرٍ من قراءة دزمووند، وينتهي في تحقيقه إلى القناعة بكون هيغل صحيح العقيدة. وإذا كان دزمووند قاسياً في طعنه على هيغل، فإنّ لاور - في المقابل - يميل جداً إلى تجاهل التفاسير التجديدية للدين عند هيغل، ويركّز في خاتمة كتابه على ذلك النوع من الإشكال الذي يمثل جوهر كتاب دزمووند: (إله هيغل)، ويعلن الموافقة على وصف هيغل أيام شبابه بأنّه (يحقّق ويبحث عن البديل الديني للدين المسيحي، وعن البديل المطلق لإله المسيحية)^(٤٣) لكنّه يقول: إنّ هيغل ترك هذا البحث على الأقلّ منذ أن شرع في (برلين) بمحاضراته في باب فلسفة الدين، ولو أنّ هيغل كان يقصد إلهاً آخر غير إله المسيحية، إذاً فلماذا تكلم وإستخدم في بياناته كلّ هذه المفردات والمفاهيم المسيحية؟! ويؤكد لاور على ضرورة التركيز في مضامين تصريحات هيغل الموجودة، بدلاً من التعمّق في البحث في ضرورة ما يجب أن يكون مراده، ولا شكّ أنّ دزمووند سيجيب بأنّ المشكلة لا تكمن في كون لغة

هيجل صحيحة عقائدياً ولا في نوايا هيجل في إستمرارية المسيحية أو في إظهار تفسيراته الفلسفية للعقائد المسيحية، بل تكمن المشكلة - حسب نظر دزموند- في الشرح والتفسير الفلسفي الذي قدمه هيجل الذي يعدّ تحريفاً للمسيحية، ولا ينسجم مع التعاليم الدينية المهمة على الرغم مما يقوله هيجل أو يرومه.

وكان هذا النوع من الإشكالات ولا يزال حاجزاً على الدوام أمام المقاربات الفلسفية للعقائد الدينية؛ فالفيلسوف - سواءً كان هيجل أم ابن سينا- يعرض تفاسيراً جديدة للعقائد أو المواضيع الدينية، التي نتعرف من خلالها على أحد النظم الفلسفية، وكان هذا الأمر هو الباعث على الدوام لأفرادٍ مثل دزموند والغزالي لتخطئة هذه المقاربات. فلن تصل النظم الفلسفية أبداً إلى مستوى الحقائق الدينية، فبغض النظر عن أي نوعٍ من الزهو الهيجلي، يبقى الفهم الفلسفي مجرد فهم بشري، وليس من الصحيح أنه ينبغي أن نقيم التفسيرات الفلسفية الخاصة للدين طبقاً للمقاييس المقبولة عند أهل العقيدة، بل يقتضي الإنصاف أن نقرّ بالقيود الموجودة التي تواجه الفهم النظري (*speculative*). ويوضح لاور بدوره هذه الفكرة بقوله: علينا أن نفرّق بين منطق التفكير النظري والتفكير العلمي، فأراء هيجل آراءً نظريةً (نتيجة لتأملاته هو) وليست بياناتٍ تتعلق بالحقائق الدينية.

على الرغم من أن دزموند قد خصّص الفصل الثالث من كتابه (إله هيجل) لموضوع الأفكار النظرية (التأملية) في نظرية هيجل، لكنه تعرّض فيه طوال الوقت تقريباً لبيان الإشكالات الفكرية (التأملات) عند هيجل، فتراه يقول: إله هيجل ليس (مغايراً) بالمقدار الكافي، بل هناك إرتباط متبادل بين

الإله والدين في فكر هيغل

الألوهية والمخلوق. وإنَّ العشق الإلهي - الذي هو منشأ الخلق - شهواني^(٤٤)، وليس مدفوعاً بطلب الخير^(٤٥) أو نظائر ذلك.

والإشكال الآخر على مقاربات هيغل أنه - حسب الظاهر - لا يقرب بأيّ محدودية، حيث يعتقد بأحقية رأيه مُطلقاً؛ ولا يُعدُّ مقارباته في باب الدين تمثلاً إطاراً نظرياً في باب الدين بوصفها واحدةً من سائر النظريات المحتملة، بل يعتبرها قطعيةً وتامةً، ولا يمكن التجاوز عن هذا الزهو والغرور الهيجلي بسهولة.

في الوقت الذي نرى فيه أن ديموند عكف على إنتقاد نظريات هيغل معللاً ذلك بأنها تؤدي إلى مخالفة ما هو من ضروريات الدين المسيحي بحسب ما يراه؛ كما نجد في عصر هيغل نفسه أن فريدريك أوغست غوترو تولوك (Friedrich August Gottreu Tholuck; ١٧٩٩-١٨٧٧) عضو (الحركة اللوثرية التقوية)^(٤٦) يدعي بأن: آية معالجة ومقاربة (تبعث على التأسف وينبغي مواجهتها؛ لأنها مع مرور الزمن تغير فهمنا الذي يربطنا بالله، وتحرف إهتمامنا عن هذه الرابطة مما يجعلها تضعف وتقل)^(٤٧).

إن أفضل بيانٍ للنقض على عقلانية هيغل جاء في آثار سورن كركغور (١٨١٣ - ١٨٥٥ م)، أمّا تولوك فإنه ينتقد عقلانية هيغل من خلال ربطها برفض (الواحدية) عند هيغل وإدانتها، كما إنتقد نفوذ (حافظ) بين الرومانسيين^(٤٨).

أمّا جواب هيغل عليه فكان عبر التشكيك في عقيدته؛ لأن تولوك يعتبر الثلاثية تحميلاً فلسفياً على المسيحية، حيث نشأ في أحضان الأفلاطونية وغيرها من المصادر الأخرى غير المسيحية، فعمل على ردّ هذه العقيدة

ونقضها. ويصرح هيغل في رسالته الشخصية هذه إلى تولوك، بثباته على المذهب اللوثري، قائلاً:

أليست المعرفة العالية لله المبنية على المسيحية التي تعتبر الله متجلياً في التثليث أولى بالإحترام والإهتمام خلافاً للموقف الذي نجده من خلال توصيفه (التثليث) حادثةً تعود إلى ظاهرة تاريخية؟! وأنا لم أستطع أن أشاهد في كتابك بأكمله أثراً من الفهم الفطري الأصيل^(٤٩) (= الناشئ من تعاليم مسيحية) لهذه التعاليم. أنا على المذهب اللوثري، وقد إعتنقتها على الفور بسبب الفلسفة. وأنا لم أسمح لنفسي بالإنحراف عن هذه العقيدة الأساسية بسبب طرق التفسير التي تتخذ طابعاً تاريخياً في الظاهر. هناك روح [في العالم] أعلى من الروح المقصودة في هكذا سنة بشرية، وأنا أصبحت متنفراً من هذه المنهجية التي يحتمل أنها تصلح لبيان أمورٍ من قبيل كيفية إنتاج الحرير وزراعة الكرز وسبل تطوير إستغلالها، أو من أجل بيان كيفية إنتشار مرض الجدري وأمثال ذلك^(٥٠).

ومن هنا، كان ولا يزال هذا التشكيك في فكر هيغل الذي إبتلانا به دزموند، فعلى الرغم من أن هيغل يقدم نفسه لوثريّ المعتقد، إلا أن دزموند يرى أن مقارباته حول المسيحية غير صحيحة.

ولكن ينبغي القول: لقد تضمنت رسالة هيغل إلى تولوك جواباً على تشكيكات دزموند بنحوٍ غير مباشر؛ حيث يدعي هيغل أن الحقيقة الدينية وحتى الحقائق العقائدية التقليدية المقبولة بين المتدينين لها علاقة وثيقة بالتأمل الفلسفي. ويرى أن عقيدة (التثليث) لا يمكن بناؤها على أساس الكتاب المقدس فقط، فما بالك بنائها على أساس الصيغة التي جاءت في قالب

الإله والدين في فكر هيغل

الدساتير والتعاليم التي بُحثت في المجمع الكنسي في القرنين الرابع والخامس من الميلاد؟! فيطرح هيغل تطوُّراً آخر في الفلسفة الدينيّة ينسجم مع نضج التعاليم المسيحيّة، ويبيّن طرحه هذا على التأمّلات الفلسفيّة التي في متناول يديه. لكنّ دِزموند يقول: إنّ تأمّلات هيغل عاجزةٌ عن الوصول إلى الهدف، فأتمّها لا تقدّم تفسيراً صحيحاً للدين أو للمسيحيّة بحدّ أدنى.

وكلا الإستدلّالين - سواءً من دِزموند أم من المدافعين عن هيغل - غير مقنع، فرغم الأدلة التي يطرحها دِزموند من أجل إثبات هذا الأمر وهو أنّ (الشعور بالإبتئاس) الذي طرحه هيغل يختلف عن الإحساس الذي يحصل لدى المسيحيّ التقيّ حينما يكون في حالةٍ من الآلام الناجمة عن الحزن الصوّفيّ والعرفاني، إلّا أنّه ينبغي القول: إنّ الله وحده هو المطلع على ما يخطر في قلب الإنسان وعلى كيفيّة شعوره في الواقع.

يُصرّح هيغل بأهميّة المجتمع الديني الذي يتمركز على حياة المسيح؛ فوجود الأدلّة التي تفيد التشكيك في إكليسيولوجيا^(٥١) هيغل، لا تعطي تصوّراً عن التشكيك في مسيحيّته. إذ تشكّل العقيدة الموضوع المحوريّ لهذه المسألة ويتضح هذا التشكّل عبر السؤال الآتي: هل الإله الذي يقصده هيغل هو مجرد بديلٍ مزيفٍ لإله المسيحيّة أم لا؟ فلو كانت هناك بعضُ المواطن من إلهيات هيغل قد يُحتمل إحتياجها إلى إعادة النظر، فإنّ هذه المواضع ليست كافيةً لإصدار هذا الإتهام الذي يرى أنّ الإله المنظور في بحث هيغل الفلسفي لا يدلّ على الإله الحقيقي للمسيحيّة نفسه. وإذا كنّا نقبل بحقيقة كون اليهود والمسيحيّين والمسلمين يعبدون ربّاً واحداً مع ما لديهم من اختلافاتٍ كبيرة في آرائهم، عندها لا ينبغي أن نشكّ أبداً بهيغل الذي أعطى بعض التفاسير

الفلسفية لبعض أبعاد الدين.

وسأعود في النهاية إلى المقارنة التي قام بها الشهيد بهشتي بين هيغل والملا صدرا؛ فلو إفترضنا أن فهم هيغل الفلسفي للمسيحية يفتقد لمعايير المسيحية التي عرضها دزموند، فهل من الممكن أن يحصل هذا الفهم على علامة أفضل إذا تمّ تقييمه بمعايير التعاليم الإسلامية التي فسرها الفلاسفة المسلمون لاسيما الملا صدرا؟

لكي تتمكن من الإجابة عن هذا السؤال، يمكن أن نعود إلى تعريف هيغل للدين بأبعاده الثلاثة التي تتكوّن من (المشاعر) و (المناسك) و (العقيدة).

فلا نملك كثيراً من الأفكار حول البعد الأول أي: (المشاعر)، إلاّ الفكرة القائلة: أنّ مشاعر العارف تحصل في العرفان الإسلامي عبر سعيه للترقي والتكامل الذي يصل به إلى المقامات المختلفة، ثمّ يتجاوزها حتّى يصل إلى مقامات أعلى، وبعد اجتياز المقامات السابقة يصبح السبيل أسهل في الوصول إلى المقامات اللاحقة، وهذا الأمر هو ما يطلق عليه (السفر الروحاني) أو (السير والسلوك).

والسير والسلوك بإعتباره السبيل الذي يسلك نحو التكامل التاريخي في بحث العارف، يشبه نوعاً ما التطور أو الحركة نحو الرقي والتكامل الديالكتيكي عند هيغل، لكنّ ثمة إختلافاً بينهما، حيثُ تُوصّف ديالكتيكية هيغل الحركة الكلية والشاملة لتاريخ الحضارة الغربية، بينما يُوصّف السير والسلوك المسير الذي يسلكه العارف تحت نظارة فردٍ إستطاع أن يُزكّي نفسه بشكلٍ مُوفّق.

وإذا إعتدنا هذه المقارنة سنجد تشابهاً وتوافقاً بين هيغل والملا صدرا، حيثُ إستخدم هيغل مفهوم (الديالكتيك) وقام بإعطاء تفسيراتٍ فلسفية

الإله والدين في فكر هيغل

جعلت التحوّل في الشعور الديني قابلاً للفهم والإدراك، أمّا الملاً صدرا فقد إستخدم التصوير الكلي لبحث العارف في تصميم وتأسيس أثره الفلسفي الرئيس (الأسفار الأربعة)؛ ولا شك أن البحث المقارن في التشابهات والإختلافات بين مراحل الأسفار الأربعة عند الملاً صدرا، وبين المراحل المتقدمة أو الحركة نحو الكمال الديالكتيكي للفهم الديني في نظرية هيغل، سيكون بحثاً رائعاً.

وقد قام الشهيد محمد باقر الصدر - وهو أحد الفلاسفة المسلمين - بإجراء مقارنة بين نظرية الملاً صدرا حول الحركة الجوهرية والخروج التدريجي للشيء من القوة إلى الفعل مع نظرية هيغل حول الحركة الديالكتيكية، وبين مواطن التشابه والإختلاف فيهما^(٥٢).

أمّا البعد الثاني في تعريف هيغل للدين أي: المناسك، فينبغي القول: إن المناسك تدور عند هيغل حول محور تدخل الله في التاريخ البشري من خلال المسيح، ويدلّ إبتعاد هيغل عن الإسلام وتعامله معه كتعامله مع آراء الطبيعيين على عدم فهمه للإسلام وانشغاله بمسألة التجسد. لكن الله تعالى - حسب وجهة نظر الإسلام - قد تدخل في التاريخ بالمقدار نفسه الذي يُذكر في الدين المسيحي، ويمكن مقارنة بحث ابن عربي حول الآية الشريفة: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ (الأنفال: ١٧) بالبحث الذي عقده هيغل عن التجسد، بل من الممكن أن يكون متوافقاً جداً مع مراد هيغل في بحث تطوّر الديالكتيك؛ لأن الله - في الإسلام - لم ينزل إلى سطح الإنسان، وإنما رُفِعَ الإنسانُ له.

أمّا البعد الثالث أي: العقائد، فيمكن القول فيه: إن الإتهامات المتعلقة بعقيدة هيغل بال (الواحدية)، تماثل تماماً الاتهامات التي نُسبت إلى العرفاء

والفلاسفة المسلمين أمثال الملائ صَدْرًا، والمطالعة الدقيقة لنظريّة الملائ صَدْرًا وحتّى مقاربات العارف ابن عربي وأتباعه إذا دخلت بابَ المقارنة مع الإلتفات إلى تعريف (الواحدية) و (الكُلّ في الإله) فينبغي أن يكون كافيًا لإثبات عدم إعتقادهم بهاتين النظريّتين على الإطلاق. وهم لا يمثّلون هيغل في الإستعاذة من تهمة (الواحدية) عبر إنكارهم كونَ الله جوهرًا، بل إنهم يعتقدون أنّ الإرتباط بين الله وكلّ الأشياء الأخرى ينبغي أن يفهم على نحو تجلّي الله فيها، لا بنحو (الاتّحاد)^(٥٣) ولا (الحلول)^(٥٤)، إنّ الله يتجلّى في جميع المخلوقات، حيث يُعدُّ التّصوُّرَ الذهنيُّ أو الصورةُ التي تظهرُ في تلك الأمور مهمّةً جدًّا في نظريّة هيغل، لذا يخطر في البال إمكانية تقديم تفسير نظري لآراء هيغل ومن ثمّ إمكانية تفسير فلسفة هيغل عن طريق العرفان الإسلامي! فغالبًا ما نلاحظ أنّ المواضيع التي أراد دِز موند أن يكفّر فيها هيغل، هي نفسها التي يتخذ فيها هيغل موقفًا منسجمًا فيه مع الإسلام أكثر منه مع المسيحيّة. ويسهّل هذا الأمر إعادة تفسير نظريّة هيغل، وانطلاقًا من هنا يمكن أن نسأل: أيّعدُّ التفسير الثاني لرأي هيغل صحيحًا، أم مجرد تفسيرٍ مزيفٍ ومُحتَلِقٍ ومُضْطَمَعٍ من قبلنا؟ ثمّ إذا استخدمنا فلسفة الملائ صَدْرًا في تفسير آراء هيغل، أ ستكون النتيجةُ تقديم هيغل بصورة إسلامية، أم سيُرينا هذا التفسير كيف يمكن أن نضفي سعةً على الآفاق التي كان هيغل يُفكّر فيها؟

لم أستطع حتّى الآن أن أفهم ما الذي شاهده الشهيد بهشتي بشكل دقيق في نظريّات هيغل، فدفعه لرؤية قبر هيغل.

إنّ منظومة هيغل الفلسفيّة منظومةٌ توفيّ الدينَ دورَه المحوري، ولعلّ هذا الأمر كافٍ لجلب إنتباه الشهيد بهشتي، فقد يكون سببُ إهتمامه هو أنّ

الإله والدين في فكر هيغل

ديالكتيكية هيغل تمثل سبيلاً لإزاحة الستار عن كنيّة وصول (الروح) إلى الفعلية في التاريخ، وقد يكون هذا الفيلسوف المسلم موافقاً للأسلوب الذي إعتّمده هيغل للدفاع عن برهان الأنطولوجيا في قبال إنكار (كانت) لها، وكذلك دفاعه العلني عن الدين في أوروبا الحديثة التي إنجّمت يوماً بعد يوم نحو المذهب التشكيكي، ولو عاينا الأمر من جهة أخرى لانتضح لنا أن هيغل من المعتقدين بالعلمانية، ومن المدافعين عن حكومة الملكية الدستورية، ولا يمكن لنظريات كهذه أن تثير إعجاب شخص أسس (الحزب الجمهوري الإسلامي)، لكنّه - بناءً للعلمانية التي يُنظر لها هيغل - ينبغي على الدولة أن تحكم على وفق الأصول الدينية التي يمضيها العقل على الرغم من الانفصال بين الكنيسة والدولة. وقد يكون الشهيد بهشتي مقدراً لهذا الرأي رغم مخالفته له.

لم يكن هيغل مسلماً بالمعنى الخاص للكلمة، وهذا ما تؤكّده آثاره التي تُشير إلى العديد من المفاهيم الخاطئة عن الثقافة الإسلامية التي كانت شائعة في القرن التاسع عشر، ومع ذلك كان مطلعاً على ترجمة أشعار حافظ التي نشرها (جوزيف فان هامر بورستال)⁽⁵⁵⁾ في العامين 1812 و 1813 م، وقد يكون (غوته) - بناءً لتوقعات المؤرخين - هو من عرفه على الشعر الفارسي⁽⁵⁶⁾ حيث مدح الشعر الفارسي في كتابه دروس في علم الجماليات⁽⁵⁷⁾.

وقد يكون الشهيد بهشتي مدركاً - على الرغم من سوء فهم هيغل - أنه يمكن أن يكون مصدراً قيماً للأبحاث المقارنة، أو قد يكون ذهاب الشهيد بهشتي إلى قبر هيغل في برلين الشرقية كما يرى أحد أصدقائي مجرد نموذج آخر للإحترام الكبير الذي يبرزه العلماء الشيعة للمفكرين الكبار متجاوزين الاختلافات في وجهات النظر التي يعربون عنها، والله العالم.

المصادر والمراجع

1. John W. Burbidge *،Hegel on Logic and Religion ،Albany: SUNY Press،* 1992 ،
2. Patricia Marie Claton *،Hegel's Metaphysics of God: The Ontological Proof As the Development of a Trinitarian Divine Ontology ،(Aldershot ،UK ،and Burlington ،Vt: Ashgate،* (2002 ،
3. Stephen Crites *،Dialectic and Gospel in the Development of Hegel's Thinking ،(University Park ،PA: Pennsylvania State University Press،* (1998 ،
4. Dieter Henrich *،Der ontologische Gottesbeweis: Sein Problem und seine Geschichte bingen: Mohr 1967)،; in der Neuseit،*
5. Walter Jaeschke *،Reason in Religion: The Foundations of Hegel's Philosophy of Religion ،Berkeley: University of California Press ، 1990/ Die Vernunft in der Religion. Studien zur Grundlegung der Religions philosophie Hegels ،Stuttgart- Bad Canstatt: Frommann - Holzboog،* 1986 ،
6. Muhammed Khair *،"Hegel and Islam،" The Philosopher ،Volume LXXXX No ،* 2
7. <http://atschool.eduweb.co.uk/cite/staff/philosopher/hegel&islam.ht>

◇ الإله والدين في فكر هيجل

m;

٨. Hans Kung and J.R. Stephenson *The Incarnation of God: An Introduction to Hegel's Theological Thought As Prolegomena to a Future Christology*, National Book Network, 1987.
٩. Quentin Lauer *S.J. Hegel's Concept of God*, Albany: SUNY Press, 1982.
١٠. Philip M. Merkl *Philosophy, Theology, and Hegel's Berlin Philosophy of Religion*, 1827-1821, Albany: SUNY Press, 1993.
١١. Robert M. Wallace *"Freedom, Reality, and God: True Infinity as the Key to Hegel's System"* <http://www.gwfhegel.org/Religion/rw.html>
١٢. Raymond K. Williamson *An Introduction to Hegel's Philosophy of Religion*, Albany: SUNY Press, 1984.
١٣. -Amos Yong *"Animated by a Pneumatological Imagination"* brint.fs.wpsinl/yond.htm; <http://david.snu.edu>.

الهوامش

- (١) سمع الكاتب هذه القصة من أفراد عدة وهم من أساتذة الجامعة في إيران.
- (٢) Georg W.F. Hegel, *The Philosophy of History*, tr.J. Sibree (Amherst, NY: Prometheus Mahometanism Books, ١٩٩١), pp. ٣٥٥-٣٦٠.
- (٣) هو مذهب فكري لا ديني يقوم على فلسفة تؤمن بوجود خالق عظيم خلق الكون ويمكن الوصول لهذه الحقيقة عبر استخدام العقل ومراقبة العالم الطبيعي وحده دون الحاجة إلى أي دين. (المعرب).
- (٤). William Desmond, *Op.Cit*, pp.١٦-١٧.
- (٥). Pantheistic.
- (٦). Pan-en-theistic.
- (٧) باروخ سبينوزا (بالهولندية: Baruch Spinoza) هو فيلسوف هولندي من أهم فلاسفة القرن ١٧. ولد في ٢٤ نوفمبر ١٦٣٢م في أمستردام، وتوفي في ٢١ فبراير ١٦٧٧م في لاهاي. (المعرب).
- (٨). Jacobi, *Über die lehre von Spinoza an den Herrn Moses Mendelssohn* (Breslau: F.H. Lawe; ١٧٨٥; ٢ndedn, ١٧٨٩); repr. In H. Scholz (ed.) *DieHauptschriftenZumPatheismusstreitZwischenJacobi und Mendelssohn*, (Berlin: Reuther &Reichard, ١٩١٦).
- (٩) لم يتكلم دزموند بنحو صريح حول المسائل المتعلقة بتهديد حرية الإنسان، لكنه يركز على انعدام الغيرية الناشئة من حلول فهم هيغل لله مكان الفهم الكلاسيكي المسيحي.
- (١٠) *Encyclopedia of Religion* (Provo: Macmillan, ١٩٩٥), Vol. ١١, P.١٦٩.
- (١١) determinism.

الإله والدين في فكر هيجل

- (١٢). أموس يونغ (Amos Yong) من الأفراد الذين قاموا بدراسة رأي دزموند، وقد اشتكى أيضاً من عدم تعامل دزموند مع (الكل في الإله) بنحوٍ جادٍ.
- (١٣). Philosophical impersonations.
- (١٤). Hegel's Concept of God.
- (١٥). اليسوعيّة: هي رهبنة كاثوليكية أسسها إغناطيوس دي لويولا عام ١٥٤٠م ويُعرفُ عضو هذه الجماعة باليسوعيّ نسبة لیسوع المسيح الشخصية المحوريّة للديانة المسيحيّة. (المترجم).
- (١٦). Raymond Keith Williamson, An Introduction to Hegel's Philosophy of Religion
- (١٧). John W. Burbidge, Hegel on Logic and Religion (Albany, SUNY Press, ١٩٩٢).
- (١٨). Unhappy Consciousness.
- (١٩). Pure self-certainty.
- (٢٠) dark night: والليل المظلم هنا هو عبارة عن إشارة إلى حالة المتصوّف أو العارف التي يحصل له فيها اليأس من إدراك أو رؤية الله، وكأنّه أمام حائط مسدود.
- (٢١). The beautiful soul.
- (٢٢). John W. Burbidge (١٩٩٢), P. ١٥٠.
- (٢٣). Ibid, P. ١٥١.
- (٢٤). self – elevation.
- (٢٥). Incarnation.
- (٢٦). William Desmond, Op.Cit, P. ٥٣.
- (٢٧). The noumenal.
- (٢٨). The Phenomenal.
- (٢٩). Immanence.
- (٣٠). William Desmond, Op.Cit, pp. ٥٣-٥٤.

- (٣١). Ibid, P. ٥٥.
- (٣٢). Forgiveness
- (٣٣). Monism
- (٣٤). Enzyklopadie der philosophiscen Wissenschaften imm Grundrisse (Hamburg: Felix Meiner, ١٩٥٩), & ٥٧٣, cited in Desmond, ٧٩.
- (٣٥). William Desmond, Op.Cit, pp. ٥٦ & ٨٣.
- (٣٦). Determination
- (٣٧). G.W.F. Hegel, Lectures on the Philosophy of Religion: One - Volume Edition. The Lectures of ١٨٢٧, ed. Peter C. Hodgson, trans. R.F. Brown, P.C. Hodgson and J.M. Stewart, (Berkely andlos Angelos: University of California Press, ١٩٨٨). P. ١٩١.
- (٣٨). See: Philip M. Merklinger, Philosophy, Theology, and Hegel's Berlin Philosophy of Religion, ١٨٢١-١٨٢٧ (Albany: SUNY Press, ١٩٩٣) p. ١٣٣.
- (٣٩). self-cognition.
- (٤٠). Lectures on the Philosophy of Religion Vol.٣. P. ٢٣٣, cited in Merklinger (١٩٩٣), P. ١٣٨.
- (٤١). (Pentecost) ، وهو عيد مسيحي يُحتفلُ به بعد عيد الفصح بخمسين يوماً. ويقصد به حلول الروح القدس على تلاميذ المسيح بعد صعود يسوع بعشرة أيام بحسب رواية سفر أعمال الرسل. (م)
- (٤٢). Congregation
- (٤٣). Quentin Lauer. S.J., Hegel's Concept of God, (Albany: SUNY Press, ١٩٨٢), P. ٣٢٦.
- (٤٤). erotic.

(٤٥). agapic

(٤٦). Pietist Lutheran (تركز هذه الفرقة على المشاعر والإحساسات الدينية والانقطاع عن السياسة)

(٤٧). هذه البيانات ليست عين عبارات تولوك، بل في الواقع هي عبارة عن تلخيص نظرياته من قبل مركلنغر. راجع:

Philip M. Merklinger Op.Cit، P.١٤٥

(٤٨). يُقال: إن تولوك هو من أدخل مصطلح (الصوفية=sufismus) (أو بتعبير أفضل ما يعادل هذا المصطلح في اللاتيني) وذلك في كتابه التالي:

Sufismus sive theosophia Persarum pantheistica (Berlin: ١٨٢١)

(٤٩). native.

(٥٠) G.W.F. Hegel، Letters، ٥٢٠-٥٢١; Breife، Letter٥١٤a; cited in Merklinger (١٩٩٣)، P. ١٤٤.

(٥١). ecclesiology. وهو عبارة عن علم اللاهوت في الكنيسة المسيحية).

(٥٢) السيد محمد باقر الصدر، فلسفتنا، (بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ١٤٠٢ هـ)، الطبعة ١٢، القسم ٢، ص ٢٢١ وما بعدها.

(٥٣).Inclusion.

(٥٤).Identification.

(٥٥). Joseph Von Hammer-Purgstal.

(٥٦) The Encyclopedia Iranica URL= <http://www.iranica.com/articles/v١٢f٢٠٠٨.html>

(٥٧). Vorlesungen Uber die Aesthetik.

